

المستطرف في كل فن مستظرف

يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيئاً عليه هذا أدبكم الذي تأدبتم به أما وإني لأودبنكم أدبا غير هذا الأدب اقرأ يا غلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعدما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال أيها الأمير إني على الضعف كما ترى ولي ابن هو أقوى مني على الاسفار أفتقبله بديلا مني فقال نقبله أيها الشيخ فلما ولي قال له قائل أتدري من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا ابن صابء الذي يقول .

(هممت ولم افعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله) .

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان هـ وهو مقتول فوطيء في بطنه فكسر ضلعين من أضلعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بأمر المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل الدار إن في قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين يا سيف اضرب عنقه فاضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وستر .

ومن حكايات الحجاج ما حكى أنه لما أسرف في قتل أسرى دير الجماجم وأعطى الأموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه وكتب إليه اما بعد فقد بلغني عنك أسراف في الدماء وتبذير في العطاء وقد حكمت عليك في الدماء في الخطأ بالدية وفي العمد بالقود وفي الأموال أن تردّها إلى مواضعها ثم تعمل فيها برأبي فإنما هو مال الله تعالى ونحن أمناءه فإن كنت اردت الناس لي فما أغناني عنهم وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسياً تيك عني أمران لين وشدة فلا يؤمنك إلا الطاعة ولا يوحشك إلا المعصية وإذا أعطاك الله الطفر فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب في أسفل الكتاب